

تاج العروس من جواهر القاموس

قالَ لَبِيدٌ هذا في جاهليَّتهِ فَوَافَقَ قَوْلُهُ التَّنْزِيلَ العَزِيزَ : " يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " . قالَ : وقد يَقَعُ أَضْلَاهُمْ في غيرِ هذا المَوْضِعِ عَلَى الحَمْلِ عَلَى الضَّلَالِ والدُّخُولِ فِيهِ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " رَبِّ إِنِّي نَزَّهْتُ عَنْ الضَّلَالَةِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ " أَي ضَلُّوا بِسَبَبِهَا لِأَنَّ الأَصْنَافَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُ . وقالَ الرَّبَّ اغْبِ : الإِضْلَالُ ضَرْبانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وذلكَ عَلَى وَجْهِينِ إِمَّا أَنْ يَضِلَّ عَنْكَ الشَّيْءُ كقَوْلِكَ : أَضْلَلْتُ البَعِيرَ أَي ضَلَّ عَنِّْي وَإِمَّا أَنْ يُحْكَمَ بِضَلَالِهِ . والضَّلَالُ في هذينِ سَبَبٌ للإِضْلَالِ والضَّرْبُ الثاني أَنْ يَكُونَ الإِضْلَالُ سَبَبًا للضَّلَالِ وهو أَنْ يُزَيَّنَ لِلإِنْسَانِ الباطِلُ لِيَضِلَّ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " لَهُمْ مَتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ " أي : يَتَحَرَّرُونَ أَفْعَالًا يَقْصِدُونَ بِهَا أَنْ تَضِلَّ فَلَا يَحْصِلُ مِنْ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ إِلَّا مَا فِيهِ ضَلَالٌ أَنْفُسِهِمْ وقالَ عن الشَّيْطَانِ : " ولأضللنَّهم ولأضلنَّهم ولأمننَّهم " وقالَ في الشَّيْطَانِ : " ولقد أضلَّ منكمُ جبلاً كَثِيرًا " وإِضْلَالٌ □ تَعَالَى لِلإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِينِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وهو أَنْ يَضِلَّ □ الإِنْسَانُ فَيَحْكُمَ □ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ في الدُّنْيَا وَيَعْدِلَ بِهِ عن طَرِيقِ الجَنَّةِ إِلَى النَّارِ في الآخِرَةِ . وذلكَ إِضْلَالٌ هو عَدْوٌ وحقٌّ □ والحُكْمُ عَلَى الضَّالِّ بِضَلَالِهِ والعُدْوُ بِهِ عن طَرِيقِ الجَنَّةِ إِلَى النَّارِ عَدْوٌ والثاني مِنْ إِضْلَالِ □ : هو أَنْ □ تَعَالَى وَضَعَ جَبِلَّةَ الإِنْسَانِ عَلَى هَيْئَةِ إِذَا رَأَى طَرِيقًا مَحْمُودًا كَانَ أَوْ مَذْمُومًا أَلِفَهُ واسْتَطَابَهُ وَلَزِمَهُ وتَعَسَّسَ صَرَفُهُ وانصُرَفُهُ عنه وَيَصِيرُ ذَلِكَ كالتَّبَعِ الذي يَأْتِي عَلَى النَّاقِلِ ولذلكَ قيلَ : العَادَةُ طَبَعٌ ثَانٍ وهذه الِئْفُ □ في الإِنْسَانِ فِعْلٌ إلهيٌّ □ وإذا كانَ كذلكَ صحَّ □ أَنْ يُنسَبَ ضَلَالُ العَبْدِ إِلَى □ مِنْ هَذَا الوَجْهِ فيُقَالُ : أَضْلَاهُ □ لأنَّ □ كِلَيْهِمَا يَكُونُ سَبَبًا في وَقُوعِ فِعْلٍ صحَّ □ نِسْبَةِ ذَلِكَ الفِعْلِ إِلَيْهِ لَا عَلَى الوَجْهِ الذي يَتَصَوَّرُهُ الجَهْلَةَ وَلِمَّا قُلْنَا : جَعَلَ الإِضْلَالُ المَنْسُوبَ إِلَى نَفْسِهِ لِلكَافِرِ والفاسِقِ دُونَ المُوْمِنِ بل نَفَى عن نَفْسِهِ إِضْلَالُ المُوْمِنِ فقالَ : " وما كانَ □ لِيَضِلَّ □ قَوْمًا بَعْدَ

إِذْ هَدَاهُمْ ° وَقَالَ فِي الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا °
لَهُمْ ° وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ° " وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ° " كَذَلِكَ °
يُضِلُّ الْكَافِرِينَ ° وَيُضِلُّ الطَّالِمِينَ ° " وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ تَقْلِيدُ
الْأَفْتِدَةِ وَالخَتْمُ عَلَى الْقَلْبِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْمَرَضِ انْتَهَى . وَيُقَالُ : هُوَ
ضَالٌّ تَالٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلَا الضَّالِّينَ " قِيلَ : عَنَى بِهِمُ الضَّالِّينَ .
وَقَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ : .

رَأَاهَا الْغُفُودُ فَاسْتَضَلَّ ضَلَالُهُ ... نِيَّافًا مِنَ الْبَيْضِ الْكَرَامِ
الْعَطَابِلِ قَالَ السُّكَّرِيُّ : طَلِبَ مِنْهُ أَنْ يَضِلَّ فَضَلَّ كَمَا يُقَالُ :
جُنَّ جُنُونُهُ وَمِثْلُهُ فِي الصَّحاحِ . وَيُقَالُ : ضَلَّ ضَلَالُهُ قَالَ أَوْسُ بْنُ
حَجْرٍ : .

إِذَا نَاقَهُ شُدَّةٌ بِرَحْلِ وَنُحْرٍ ... إِلَى حَكَمٍ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالُهَا